كيف بدأ الإرهاب

كلمة الشيخ الفاضل:

محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعـــــد:

يقول السائل: بسم الله الرحمن الرحيم، نشكر الله-تعالى-ثم نشكر القائمين على هذه الدورة العلمية، ونشكر أصحاب الفضيلة: الشيخ محمد والشيخ عايد على ما تفضلا به في هذه الندوة المباركة، وعلى ما ذكرا من كلام طيب وتوجيه مفيد عظيم قل أن نسمع مثله في كثير من المحاضرات وخطب الجمعة.

فلا ندري لماذا تغفل هذه المعاني والأحكام أو تعرض ولكن بصورة ليس فيها وضوح وشفافية، فلا يستفيد الناس منها مثل هذه الليلة، فنرجو إيضاح أسباب انتشار الأفكار الضالة، وكيف سَرَتْ إلى شبابنا وبلادنا والبلاد في شرقها وغربها وفي جنوبها وإلى شمالها على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية والمدارس والعلماء والأمراء والناس على ذلك.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعـــــــــد:

فهذا السؤال الذي سمعنا قد جاء إشارة إلى شيء من أسبابه، وهو أن هذه الدعوة في هذه البلاد كانت ولا تزال ولله الحمد قائمة، ولكن! في القدم قائمة ولا يوجد ما يشوش عليها، ولا على أبناءها، وإذا وجد المشوش عليهم قمع ورد عليه وكشف باطله وزيِّف ما جاء به، فإن ارتدع بالرد عليه من أهل العلم وانقمع كان بها، وإلا أوقفه السلطان، هذا في السابق، كانت الدعوة ظاهرة والعلماء قائمون بحمايتها.

وكان المخالف في السابق يأتي شاهرًا سيفه ظاهرًا للناس-يرونه-، فكان يتصدى له، أما في الآونة الأخيرة فقد أدرك أعداء هذه الدعوة الصحيحة التي أحيا الله بها البلاد والعباد، وأظهر بها الخير، وقطع بها أسباب الشر، أدركوا أن الطريق الأولى التي سار عليها أسلافهم في عداوة هذه الدعوة وأهلها ومجتمعهم، أدركوا أنهم لا يمكن أن يفلحوا ولا يصلوا إلى مرادهم ما داموا ظاهرين.

فسلكوا المسلك الجديد لأنهم اعتبروا بأعداء دعوة الشيخ في السابق، كان الرجل يؤلف في الذم لهذه الدعوة والطعن عليها وعلى علماءها فيرد عليه ويقمع حتى في أيام الضعف، والفترات التي حصل فيها وقوف الدولة السعودية قام أهل العلم بالبيان.

هؤلاء لما رأوا أنهم لا طريق لهم في الوصول إلينا بالأسلوب الذي سبق مع السابقين من أعداء هذه الدعوة، فالتفوا التفافًا ماكرًا فجاءوا في الخفاء، فدخلوا مندسين في الظلام، وجاءت طائفة منهم وقد أخذوا الإنعام بالأمان والنصرة من الإمام فأووا إلينا، فكان جزاءًا لنا في إحساننا إليهم أن يفسدوا علينا وللأسف.

وهكذا من عاداك في الدين:

فكل العداوات قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين

وهؤلاء لم يحفظوا ودًا لذي ود، ولا برًا لذي بر، ولا إحسانًا لذي إحسان، ولا معروفًا لذي معروف، فدخلوا هذه البلاد بعد أن شردوا من بلدانهم ومزقوا كل ممزق، وجاءوا إلينا فربوا أبناءنا في الخفاء ولقنوهم الخروج علينا.

تسللوا إلى التعليم، وتسللهم إلى التعليم كان بداية البلاء، لأنهم أدركوا أن عقول الناس لا يغيرها إلا التربية والتعليم، فبدؤوا في هذا الجانب بالذات في الستينات بالتاريخ النصراني، والثمانينات بالتاريخ الهجري، واحد وثمانين، واثنين وثمانين، وثلاثة وثمانين، وأربعة وثمانين، وخمسة وثمانين وثلاث مائة وألف، بدؤوا في جامعة الإمام في كلية الشريعة في تلك الحقبة على يد **(مناع قطان)** فكان بدايتها.

وإذا كان البدء بتربية العقول للعروج بها إلى النقول مما كانت عليه إلى ما يراد لها أن تصير إليه في ذلك التاريخ، فطالب الجامعة في ذلك الحين كم تقدرون له عمرًا إذا دخل الجامعة؟، أقل الأحوال في العشرين، لأن الجامعة في ذاك الحين-جامعة الإمام- لم تكن جامعة الإمام، المعاهد والكليات.

فأول ما فتحت كلية الشريعة في هذه التواريخ يعني: لم يتخرج منها إلا عدد قليل جدًا، فإذا كان أبو عشرين سنة في ذاك التاريخ وقد لقن هذا الفكر كم يكون اليوم سِنُّه؟، فوق الستين، فلا تستغربوا أن تجدوا قطبيًا عمره خمسة وستين، أو إخوانيًا بنائيًا عمره سبعين، زودوا خمس سنوات وهذا موجود، درس وعنده سبعة أولاد وفي ذاك التاريخ ما يتزوج إلا إنسان متقدم في العمر ما هو مثلنا الآن، أقل شيء خمسة وعشرين إلى الثلاثين، فليس بغريب أن تجد سبعين الآن إخواني لأنه من الطبقات الأولى، من السابقين إلى الضلال، في الظلال وأهله.

فالشاهد:

هذا التسلل الخفي وتربية الابن فيعود عاقًا كان له أعظم الأثر، والعمل كان في خفاء ودهاء وذكاء، ولكن! لا ذكاء، وما كان لله دام وانتقل، وما كان لغير الله انقطع ولو طال فإن العاقبة للمتقين.

ففي تلك الحقبة:

ثلاثة وستين وأربعة وستين وخمسة وستين بالنصراني كما قلت لكم ألف وتسعمائة بدأ التنظيم عندنا يشتغل في أبناء الجامعة-جامعة الإمام-على يد هذا الرجل، وفي حينها كما ذكر علي العشماوي في التنظيم السري كاتبوا سيد قطب الإخوان المسلمين من عندنا، كاتبوه وأرسلوا إليهم رسالة في مصر يخبروهم بالتنظيم إلى سيد قطب، ويرسلون إليهم المال وأنهم مستعدون لجمع المال والسلاح للإخوان المسلمين في مصر، وهذا في الكتب يباع في المكتبات ما جئنا به من جيوبنا، فهم درسوا الحال في مصر وصدروه إلينا، فصرنا نحن الآن نصدر إلى الناس وللأسف.

وتربى هؤلاء فأصبحوا فيما بعد هم القائمون بأمر التدريس والتربية فربوا من بعدهم، حتى جاءت فلولهم هذه التي نراها، هذا السبب الأول تسللهم الخفي وبدأهم بالتعليم.

ولهذا نحن نقول:

إذا كان في إصلاح فلا بد من التعليم، ولينظر إلى التعليم، وهنا جملة معترضة أنبه فيها حتى لا يأتينا مريض وما أكثرهم.

فيقول: هذا يتهم التعليم وقطاع التعليم بأنهم يخرجون التكفيريين.

أقول: لا، هذا ما هو صحيح، لكن طائفة موجودة تخرج التكفيريين وإن رغمت أنوف، شاءه من شاءه، ورضيه من رضي، وأباه من أباه، والواقع أعظم شاهد، هذا السبب الأول.

السبب الثاني: وهو مترتب على الأول، الغفلة عن هؤلاء بسبب الخفاء الذي سلكوه والتخفي، تسللوا إلينا متخفين ولا يُعرفون، فأخذونا على حين غرة، أخذونا في غفلة للأسف، هذه الغفلة قتلت، ولكن! الحمد لله قد حصلت اليقظة والانتباه بعد الغفلة، فيجب علينا أن نكون حذرين....

وإنما رجل الدنيا و واحدهـــا   من لا يعول في الدنيا على رجل

وإذا كان الله-سبحانه وتعالى-يقول لرسوله-صلى الله عليه وسلم-: ﴿... **إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ**

﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ...﴿١٠﴾﴾﴿الممتحنة﴾، في حال المهاجر المعلن إسلامه فإن الواجب علينا-كان الواجب علينا-أن يختبر هؤلاء قبل أن يمكنوا من أبناءنا وفلذات أكبادنا، حتى نعلمهم سلفيين ولا ما هم سلفيين، ولكن الصيف ضيعت اللبن، فلما ضيعناه في الصيف دوَّرناه فما وجدناه، فهذه الغفلة هذا من آثارها.

السبب الثالث: من الأسباب التي أدت إلى وجود الانحراف عن دعوة الشيخ-رحمة الله عليه-السلفية في هذه البلاد ووجود هؤلاء ووضوح أفكارهم حسن الظن الموضوع في غير موضعه، وهذا والله ليس بالنصيحة لدين الله.

فتأتي إلى الرجل ممن بيده التأثير فتقول له: خذ هذه الأدلة الدامغة والبراهين على ما يقول أولئك في القطاع الفلاني.

يقول: لا ما أظن هذا صحيح لعلكم تبالغون.

إلى الله المشتكى، طيب احذف المبالغ فيه وخذ الموجود!، ما في، المبالغة عند البلاغيين فيها أصل موجود ولكن في زيادة عليها، أنت حينئذ المبالغة لا تأخذها وخذ بالأصل، مثل فلان كذَّاب، الأصل أنه كاذب يعني: الكذب فيه، وكذَّاب كثير الكذب، اختلفنا أنا وإياك في أنه كثير الكذب ولكن هل هو كذَّاب ولَّا لأ؟، كذاَّب خلاص، فأنت خذ الأصل، إذا وجدت خذ الأصل ودع عنك المبالغة، ما في عمل وجيء بهؤلاء بسبب هذا.

السبب الرابع: وهو من أخطرها ولا يزال إلى الآن وإلى أن يشاء الله، إن لم يكن أخطرها جميعًا، وهو: **الأمن من مكر الله-جل وعلا-**.

يا ناس: هذا موجود بين أبناءنا، هذا الفكر يندس لا عيالنا ما يقولون هذا عيالنا يتربوا على التوحيد، ومن آتاك الصك من الله-جل وعلا-﴿ **أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩** ﴾﴿الأعراف﴾، فأمنَّا مكر الله-جل وعز-واعتمدنا الولاية-على الأحقية بالإرث-إحنا أبناء التوحيد إحنا أبنا التوحيد، حتى سرى منا إلا من رحم الله-جل وعز-، فحورب بعد ذلك التوحيد، وأهل التوحيد، ودعاة التوحيد مثل التوحيد، وعلى أيدي من يقول: إحنا أبناء التوحيد للأسف.

ثم استفحل الأمر فأصبح البنا الصوفي القبوري اللي يمشي على رجليه ساعتين إلى قبر السيد سنجر يوم الجمعة في عزبة النوام، أصبح مع محمد بن عبد الوهاب في مناهجنا مجدد، شتان بين المجددين، مجدد البدعة والضلالة ومجدد الدين والإسلام والسنة.

من جعله مجدد؟، لو كان في ذاك التاريخ هل يستطيعون يقولون هذا؟، ما يستطيعون، لكن! لَمَّا أمنوا أنهم وصلوا إلى هذه المرتبة أصبحوا يصرحون ولا يلمحون، لأنهم أمنوا العقوبة ومن أمن العقوبة أساء الأدب، فمن يأخذ على أيديهم؟، خلاص.

لو فعلوا أمس ذلكم المصري واليمني أو العراقي أو السوري نعم، لكن الآن باسم أبناءنا، باسمنا نحن.

يا جماعة: هذا لنا في قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فيه الأسوة الحسنة ولنا فيه العظة، قال عن الخوارج من بني جلدتنا يخرجون منا من جلدتنا من بني جلدتنا

ويتكلمون بألسنتنا ولكن يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فلما جاءوا من بني جلدتنا خلاص صار مستساغ، فنعوذ بالله من الخذلان.

البدعة من البعيد بدعة، ولكن من الابن لا ما هي بدعة، هذا ما هو صحيح، هذا السبب كم الآن؟، الرابع الأمن من مكر الله.

السبب الخامس: الضعف البين في مواجهة هذه الأفكار، وتثبيط من قام بمواجهتها، بل وزد على ذلك التهوين منه ومن شأنه واتهامه بأنه يفرق الناس، فحينئذ ساءت البلية على البلية، نسأل الله العافية والسلامة.

السبب السادس: وهو ما ذكرته أثناء الكلمة وهو: العاطفة التي وقعت في غير موقعها، تلكم العاطفة أوقعت أصحابها في أمر من أمور الجهل، وهذه العاطفة كما قلت هي قضية الرجل يتصور أن الضلال حادث من غيره أما منه فلا، ومن أبناءه فلا، فينشط في رد الباطل لو كان من غيره، وإذا كان من ابنه لا ما يمكن أن يكون، ليش؟، لأنه ابنه، أو ابن أخيه، أو ابن عمه، أو ابن قريته، أو ابن بلدته، أو ابن إقليمه، أو ابن قبيلته، أو هكذا.

وهذا قد فنَّده الله بأقوى العبارات على أفضل الخلق وأحبهم إليه وهم الرسل، بل على صفوتهم أولي العزم، بل وعلى أول أولي العزم وهو نوح-عليه الصلاة والسلام-، حينما قال له: ﴿... ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ ...﴾ في السفينة ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ...٤٠﴾ ﴿هود﴾، فنوح-عليه الصلاة السلام-أخذ ﴿...وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ...٤٠﴾، يستثني من أراد

الله من أهله ممن ليسوا بأهل لهذا الفضل-فضل الإنجاء-من الإغراق لأهل الباطل والكفر والفجور.

فجاء بعد ذلك يدعو ربه: ﴿... فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾ ﴿هود﴾، لا اعتراض على حكمك أحكم الحاكمين في أخذك له لكن أنت وعدتني من أهلك ﴿...ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ ...٤٠﴾ ﴿هود﴾ ، فالآن ابني من أهلي يا رب وأنت قد أعطيتني أن أهلي معي في النجاة، قال له-سبحانه وتعالى-: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ ﴿هود﴾.

فإذا كان هذا الخطاب الشديد القوي لأول أولي العزم صفوة الرسل-صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-الذين أمر رسولنا-صلى الله عليه وسلم-أن يصبر صبرهم لا صبر عموم الرسل إنما أولي العزم ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ ...٣٥﴾ ﴿الأحقاف﴾، فأمره بأن يصبر صبر أولي العزم لعظم صبرهم، فهذا النبي الرسول الكريم أول أولي العزم وأعظمهم صبرًا يقول الله له هذه المقالة ﴿...إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ ﴿هود﴾، لِمَ؟، لأن هذه

العاطفة-عاطفة الأبوة-كانت بالأصل-أصل الأبوة-، جاء الشرع ففندها ﴿...لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ...﴾.

فالواجب على هؤلاء: الذين بيدهم القرار علمًا أو سياسةً-قيادةً-أن لا يغفلوا عن هذا، وهم على خير وإلى خير ما قاموا به، وإن فرطوا فيه فلينتظروا، بقدر ما يفرطون بقدر ما ينال منهم، والله-جل وعلا-ناصرٌ دينه، ومعلٍ كلمته في كل زمان ومكان ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١﴾﴿الصافات﴾ إيش؟، ﴿إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٤﴾﴿الصافات﴾، ما هو في حينه يأتي، قد يعجل الله وقد يؤخر، لينظر صبرك وقوتك وإيمانك واحتمالك، هذا جانب.

الجانب الآخر: هذا الأمر الذي ذكرناه مربوط بنصرة المسلم لدين الله أيًا كان، فالله-جل وعلا-كما قال عمر-رضي الله تعالى عنه-لسعد حينما أنفذه غازيًا أميرًا على الجيش مقاتلًا، قال له: (يا سعد-سعد بن وهيب- لا يغرّنّك من الله, أن قيل: خال رسول الله أو صاحب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-, فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته)، فالنسب بيننا وبين الله الطاعة.

وهذه الدعوة منذ أن تركها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-والله يقيم لها من ينصرها، ينصرها بالقول والفعل فينصره الله-جل وعز-ولو بعد حين، أحيانًا يخذل المرء

ابنه، ضرب الله مثلًا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، أقرب الناس إليك يخذلونك فهم من الكفار.

وضرب الله مثلًا للذين آمنوا امرأة فرعون، ونحن سمعنا ابن نوح فما نفع هذا أنه ابن نوح، ولا نفع زوجة لوط أنها زوجة لوط، ولا نفع زوجة نوح أنها زوجة نوح-عليهم الصلاة والسلام-، لَمَّا حاربوا دين الله أخذهم الله.

فلا ينفعك أن فلان ابن الشيخ فلان، أو فلان ابن القائد فلان، أو فلان ابن القاضي فلان، لا والله ما ينفعك إلا دينك عند الله-جل وعلا-، فإذا نصرت دين الله نصرك الله-جل وعز-رغم أنف المعارضين ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٥٢﴾ ﴿غافر﴾، طيب هذا النصر لمن؟، لابن فلان وابن فلان؟، لا ﴿...إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ ﴿محمد﴾.

فالذي يقوم بنصرة الدين هو الذي ينصر، ولو كان ينظر إليه أنه مهين أو لا أصل له أو لا سابقة له بالخير، الله-جل وعز-إنما يؤاخذ العبد إنعامًا وابتلاءًا، إكرامًا وإهانةً، رفعةً وخفضًا، إنما يعامله بالإخلاص له والإتباع لما جاء به رسوله-صلى الله عليه وسلم-.

فالله-سبحانه وتعالى-يقول: ﴿...وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ...﴾ بشرط ﴿... ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ٣٨﴾﴿محمد﴾، والله إن الله لناصر دينه، ومعلٍ كلمته، بعز عزيز أو ذل ذليل.

واعلم: أنك ما قلت لله، وما قمت لله، لا ترجوا إلا الله، ولا تخشى إلا الله، فاعلم أنك منصور، ولو اجتمعوا على خذلانك لن يضروك شيئًا، و والله لو كبرت مقامات المعارض إنها ليست بشيء، لِـمَ؟، لأن الله-جل وعز-يقول في كتابه: ﴿...وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ٨٠﴾﴿الإسراء﴾، والسلطان النصير هو: العلم الذي يفلج به صاحبه كل مبطل فيدمغه فلا يستطيع أن يقف في وجهه.

هذه الأمور هي التي أدت إلى ظهور هذه الأفكار المنحرفة وذقنا ويلاتها نحن في هذا الزمن، ونسأل الله-جل وعلا-أن يبصر القائمين في بلادنا من ولاة أمرنا، وكذلك علماءنا، وأشياخنا، وأن يزيدهم خيرًا وهدىً وتوفيقًا، لأن يقفوا من هذه الأمور وهذه الأحداث إضافة إلى ما هم واقفون به والقائمون به أن يقفوا منها الموقف الحاذر، لأن حماية الأمة وأبناءها شيبًا أو شبابًا أو أطفالًا، إناثًا أو رجالًا واجب.

والله-سبحانه وتعالى-هو الموفق، لعل الشيخ عايد عنده إضافة وزيادة فليتفضل[1].

قام بتفريغه: أبو عبيدة منجد بن فضل الحداد

الخميس الموافق: 16/ جمادى الثانية/ 1432 للهجرة النبوية الشريفة.

[1] فضيلة الشيخ الوالد: محمد بن هادي المدخلي–حفظه الله–